

ظاهرة النبر في القراءات القرآنية في ضوء علم الأصوات الحديث *The phenomenon of stress in Quranic readings in the light of modern phonetics*

بوزيد طبطوب

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02 (الجزائر)، b.tebtoub@univ-setif2.dz

تاريخ الإستلام: 2022 / 01 / 15 تاريخ القبول: 2022 / 05 / 08 تاريخ النشر: 2022 / 06 / 14

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن بعض الظواهر اللغوية النادرة في العربية، ومحاولة معالجتها وفق الدرس الصوتي الحديث. الذي يعتمد على الآلات المعملية المتطورة، وعلى علم التشريح، وعلم وظائف الأعضاء. وقد اخترنا ظاهرتين نادرتين هما: النبر في القراءات القرآنية، والتشديد والتخفيف، ودراستهما وفق ما يقتضيه علم الأصوات الحديث؛ لأن النبر من المستجدات في الدرس الصوتي العربي مفهوما لا مصطلحا.

الكلمات المفتاحية: التشديد؛ الفونولوجيا؛ الفونتيك؛ المقطع الصوتي؛ النبر.

Abstract:

This study seeks to reveal some of the rare linguistic phenomena in Arabic, and to try to treat them according to the modern phonetic lesson. Which relies on sophisticated laboratory machines, and on anatomy, and physiology.

We have chosen two rare phenomena: stress in Qur'anic readings, and emphasizing and reducing them, and studying them according to the requirements of modern phonetics. Because stress is one of the developments in the Arabic phonetic lesson as a concept, not a term.

Keywords: *Emphasis; phonology; phonetics; acoustic section; Stress.*

1. مقدمة

لقد مثلت القراءات القرآنية ميدانا رحبا للدراسات اللغوية، وخزانة يعج بالظواهر اللهجية التي كانت منتشرة في زمن نزول القرآن الكريم، وعلم اللغة الحديث يعطي الدراسات الوصفية أهمية كبيرة؛ لأنها تكشف عن الظواهر اللغوية والسمات اللهجية والنظام الصوتي للغة. لأن تلك الدراسة تبحث عن الحقيقة في ذاتها ليس إلا، واكتسب المنهج الوصفي شرعيته لأنه لم يكتف بدراسة اللغات المكتوبة فقط، بل تعداه إلى دراسة اللهجات وهو لا يدرس اللغة النموذجية التي صنعها النحاة واللغويون، بل يصف الظاهرة الصوتية في الاستعمال العادي، وهنا وجب التنبيه إلى أمر مهم وهو أن الباحث يلزم نفسه بالموضوعية والشمولية، فالموضوعية تقتضي أن يتخلى الباحث الصوتي عن ميولاته وعن آرائه المسبقة، وأن يقبل النتيجة التي توصل إليها حتى وإن كانت مخالفة لتوقعاته، لأن الدراسة العلمية تقتضي ذلك، كما يجب عليه أن يوسع دراسته لتشمل أكبر عدد من الناطقين بهذه اللغة أو اللهجة لتكون النتيجة قريبة إلى الصواب والحقيقة.

فروع علم الأصوات:

1. أولا: فروع علم الأصوات: هي كثيرة ومتعددة، تختلف باختلاف نظرنا إليها، فإذا نظرنا إليها على أساس أنها أحداث كلامية تصدر من منتج الصوت إلى أن تصل إلى أذن السامع فهي تنقسم إلى ثلاثة علوم هي:
 - 1.1 علم الأصوات النطقي: ويسمى علم الأصوات الفيسيولوجي، وهو الذي يعنى بدراسة أعضاء النطق ومعرفة كيفية إنتاج الأصوات اللغوية، وتحديد مخرج كل صوت وصفاته في أي لغة كانت؛ لأنه يدرس الصوت منفردا، وهو أقدم فروع علم الأصوات وأكثرها انتشارا، «ويتميز هذا الفرع من علم الأصوات عن غيره من الفروع الأخرى، بأنه يمكن الاعتماد عليه في الملاحظة الذاتية، فسمة الوصفية أو الطابع الوصفي، بعكس الفروع الأخرى التي تحتاج إلى أجهزة خاصة للكشف عن حقائقها»، (عاطف فضل محمد، 2013، ص 45).
 - وقد كانت الدراسات الصوتية العربية شبه محصورة في هذا الفرع. ويركز على مخارج الحروف، والتفريق بينها من حيث إنها (حلقية أو لهوية أو شجرية أو أسلية أو نطعية أو لثوية أو شفوية)، وصفات نطق تلك الأصوات، أي مجهورة أم مهموسة، شديدة أم رخوة، مستعلية أم مستفلة، مطبقة أم منفتحة. وكذلك الأعضاء المسؤولة عن نطق تلك الأصوات، ووظيفة الصوت المنطوق.
 - 2.1 علم الأصوات الفيزيائي (الأكوستيكي): الذي يُعنى بالصفات الفيزيائية للأصوات وتركيباتها الطبيعية، وكيفية انتقالها من منتج الصوت إلى أن تصل إلى أذن السامع، دراسة اختبارية قوامها الذبذبات الصوتية والإلكترونية، بغض النظر عن ظروف إرسالها واستقبالها، ويعتمد على دراسة الذبذبات الصوتية المنتشرة في الهواء من لحظة خروجها من فم المتكلم إلى أن تصل إلى أذن السامع.

- 3.1 علم الأصوات السمعي: الذي يُعنى بكيفية حصول سماع الصوت في أذن الإنسان، ويقوم على جانبين الأول: عضوي مخرجي، والآخر نفسي. ويهتم بالذبذبات التي يستقبلها صوان الأذن، والتي تصطدم بغشاء الطبل، وأثر هذه الذبذبات في المتلقي. وهو أحدث فروع علم الأصوات؛ لأنه يدرس ميكانيكية الأذن وكيف تتحول الحركة من ذبذبات إلى حركة ميكانيكية ثم حركة سائلة ثم كهربائية. ويحجم كثير من الدارسين عن ولوج هذا العلم لدقته وصعوبته.

وهناك فرع رابع يسمى التجريبي: وهو الذي يعتمد التجارب والأدوات والوسائل المتطورة.

2. المنهج: وأما إذا نظرنا إليه من حيث منهج الدراسة؛ لأنَّ علم الأصوات فرع من علم اللغة، فإنه ينقسم إلى عدة أقسام:

1.2. منهج علم الأصوات الوصفي:

1.3. وهو دراسة ووصف الظاهرة الصوتية في مرحلة زمنية معينة وبقعة جغرافية محددة. وهو يدرسها كما هي، ولا يدرس الظاهرة الصوتية بغرض تصحيحها أو انتقادها أو لأهداف أخرى غير الوصف كما لا يتورط في تخطئها.

2.2. منهج علم الأصوات المقارن:

وهو المنهج الذي يقارن بين أصوات لغتين شقيقتين تعودان إلى أصل لغوي واحد كالعربية والعبرية مثلاً، أو كالفرنسية والإيطالية، ليبين الصلات التاريخية، والقاربة الأسرية بين اللغتين، ويرصد نقاط التشابه والاختلاف بين أنظمتها الصوتية، كما يدرس أصوات لغة واحدة بين مرحلتين مختلفتين من مراحلها، لأنَّ اللغة تتطور وتبدل أصواتها لعدة عوامل، والتطور هو أصل في اللغات والثبات هو الشاذ ولم يحدث إلا في اللغة العربية الفصحى، أما في اللهجات الدارجة فقد تطورت الأصوات تطوراً متفاوتاً.

3.2. منهج علم الأصوات التاريخي:

وهو الذي يدرس تطور وتحقق أصوات لغة عبر الزمن، ويرصد التغيرات الصوتية من عصر إلى آخر وذلك بهدف ملاحظة تطورها وما أصابها من تغير وتبديل في مسارها الطويل، والقوانين التي حكمت هذه التغيرات، والعوامل التي أسهمت في هذا التبديل، ولا يستطيع المرء أن يرصد التغيرات دفعة واحدة؛ لأنها حدثت في مراحل مختلفة وأزمنة متباعدة، ونطق بها جيل بعد جيل.

4.2. منهج علم الأصوات العام:

وهو المنهج الذي يبحث في النظريات العامة للغة الإنسانية، ويعنى بالصفات المشتركة للأصوات في جميع اللغات، وبالمسائل المتعلقة بها. ويدرس الجهاز الصوتي ووظيفة كل عضو، كما يبحث في طرق إنتاج الأصوات وتصنيفها، دون الاختصاص بلغة معينة.

3. الأفراد والتركيب:

هناك تقسيم آخر هو الفونيتيك والفونولوجيا، بين المادة الخام والقوانين العامة، أو دراسة الأصوات اللغوية مجردة مفردة، والأخرى لما تنتظم في تركيب وتؤدي وظيفة.

1.3. الفونيتيك Phonétique:

هو العلم الذي يدرس الأصوات مفردة ومجردة، ويكتفي بالإشارة إلى طريقة إنتاجها وانتقالها واستقبالها، وتركز على الصوت المفرد بغض النظر عن اللغة التي ينتهي إليها، بل حتى ولو كان الدارس لا يعرف هذه اللغة ولا ينطق بها ولا يتواصل مع ناطقها؛ لأنه يدرس الصوت المجرد، الخام، وهو يرتبط بفرع آخر من المعرفة، كعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء (الفيسيولوجيا).

2.3. الفونولوجيا Phonologie:

يطلق على الدراسات التي تعنى بالقوانين الصوتية، والنظام الصوتي للغة ما، ووظائف هذه الأصوات في التفرقة بين الوحدات اللغوية، وتحاول الكشف عن مدى تأثر الأصوات ببعضها البعض عندما تنتظم في تركيب وترصف الكلمات في جمل، كما تصنف إلى وحدات تقابلية، وهي تعتمد على التقنين والتععيد، وينبغي لسالك هذه الدراسة أن يكون على معرفة بهذه اللغة وبوظيفة أصواتها، وقدرتها على تغيير المعنى أو عدم تغييره كما هو معلوم في قضية الفونيم Phonème و الألفون Allophone.

وخلاصة القول: أن الأول يدرس الأصوات مجردة بصفة عامة، في كل اللغات دون الاختصاص بلغة دون الأخرى، والثاني يدرس الأصوات ووظائفها في لغة واحدة ويراعي المعنى والدلالة في التفرقة بين الأصوات.

4. الصوت:

1.4. لغة الجرس. وعرفه ابن منظور فقال: «صوت الإنسان وغيره . والصائت: الصائح، والجمع أصوات، وقد صات يصوت، ويصات صوتًا، وأصات، وصوت به كله ناذى ويقال: صوت يصوت تصويًا، فهو مصوت، وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه. ويقال: صات يصوت صوتًا، فهو صائت، معناه صائح»، (ابن منظور، 1992، 57/2)). والذي يهمننا في هذا البحث هو الصوت الإنساني وبالتحديد الصوت اللغوي. والصوت هو النفس المسموع الخارج من جملة أعضاء النطق ، وقد أدرك علماء اللغة العربية القدماء أهمية دراسة الصوت، فحللوا اللغة إلى أصغر مكوناتها، وحددوا الأصوات التي تتألف منها، ودرسوا خصائص الصوت المفرد، وبينوا ما يعتره من تغيرات عندما يتركب في كلام، أو ينتظم في سلك البيان.

2.4. اصطلاحًا:

للصوت تعاريف مختلفة.

عرفه ابن جني بأنه « اعلم أنَّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلًا متصلاً، حتَّى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين، مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسعى المقطع أينما عرض له حرفًا. وتختلف أجراس الحروف، بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفتتنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنَّك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثمَّ تبلغ به أيَّ المقاطع شئت، فتجد له جرسًا ما، فإن انتقلت عنه راجعًا منه، أو متجاوزًا له، ثمَّ قطعت، أحسست عند ذلك صدًى غير الصدى الأوَّل، وذلك نحو الكاف، فإنَّك إذا قطعت بها، سمعت هنا صدًى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم، سمعت غير ذينك الأوَّلين »، (ابن جني، 2007، ص 19/1).

وقد شبه ابن جني جهاز النطق بالمزمار وبوتر العود حين إنتاج الصوت، فقال: « فإنَّ الصوت يخرج فيه مستطيلًا أملس ساذجًا، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكلٍ خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكَذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة»، (ابن جني، 2007، 21/1).

بل اللغة عنده أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، (ابن جني، 2007، (1/19)).

وقال الراغب الأصفهاني: «الصوت: هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين، وذلك ضربان: صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد، ومتنفس بصورة ما. والمتنفس ضربان: غير اختياري: كما يكون من الجمادات ومن الحيوانات، واختياري: كما يكون من الإنسان، وذلك ضربان: ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه، وضرب بالفم. والذي بالفم ضربان: نطق وغير نطق، وغير النطق كصوت الناي، والنطق منه إما مفرد من الكلام؛ وإما مركب، كأحد الأنواع من الكلام» (الراغب الأصفهاني، 2009، ص 370).

والصوت يحدث نتيجة القرع أو القلع، وهو ما نسمعه ونحسه، أو هو ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دون أن ندرك حقيقتها وكيفية، ويحدث غالبا نتيجة اهتزاز الأجسام، فيؤدي إلى حدوث اضطراب تضاعطي ينتقل في الهواء على شكل موجات، ويؤثر في طبلة الأذن، فيؤدي ذلك إلى الإحساس بالصوت وسماعه، إذن هو الصوت الذي يصدر عن جهاز النطق الإنساني.

واللغة في حقيقتها وجوهرها أصوات، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (ابن جني، 2007، (1/44)). فهي الرموز الصوتية المنطوقة دون المكتوبة، ووسيلة تعبير؛ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وحاجياتهم، لكون الإنسان اجتماعيا بطبعه، وتعبير عن الأغراض؛ والأغراض اسم جامع لكل وظائف اللغة.

3.4. تعريف الصوت اللغوي: «وهو نوع من ظاهرة الصوت الطبيعية، ويعرف بأنه أثر سمعي يصدر طوعية واختياراً عن حركة أعضاء النطق»، (كمال بشر، 2000، ص 119).

وقد فرق العلماء بين النَّفَس والصوت والحرف، فقد جعلوا الهواء الخارج من داخل الإنسان حال الزفير، إن كان مسموعاً فهو صوت، وإلا فهو نَفَسٌ. والصوت إذا اعتمد على مخرج محقق فهو حرف وإلا فهو صوت فقط: لأنَّ الحرف هو الصوت الذي يعتمد على مقطع محقق أو مقدم، ويقصد بالمقطع المخرج؛ لأنَّ الصوت ينقطع فيه «المخرج موضع ظهور الحرف، وتمييزه عن غيره، وإذا أردت أن تعرف مخرج حرف فسكنه أو شدّه، وهو الأظهر، وأدخل عليه همزة الوصل بأي حركة كانت، وأصغ إليه السمع، فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق، وحيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان مخرجه المقدر» ، (كمال بشر، 2000، ص 119).

وكما هو معلوم فإنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما أراد ترتيب مخارج الأصوات بدأ بالأبعد مخرجا، واستعمل طريقة تذوق الحروف، حيث يأتي بالحرف وقبله همزة قطع أو وصل- على خلاف في الرواية- ثم يأتي بالحرف مشددا، وجعل التشديد أفضل لأنه أقوى من السكون، والسكون أقوى من الحركة؛ لأنَّ الحركة تقلق المخرج وتزعجه، وتغير مكانه قال ابن جني: «وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى أن تأتي به ساكنا لا متحركا، لأنَّ الحركة تقلق الحرف عن موضعه، ومستقره، وتجذب به إلى جهة الحرف الذي هي بعضه ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأنَّ الساكن لا يمكن الابتداء به فنقول: الك؛ اف؛ اج. وكذلك سائر الحروف، إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها، ألا تراك تقول في الدال والطاء اللام: اد؛ اط؛ ال. ولا تجد للصوت منفذا هناك، ثم تقول: اص؛ اس؛ از؛ اف، فتجد الصوت يتبع الحروف، وإنما يعرض هذا الصوت التابع لهذه الحروف ونحوها ما أوقفت عليها، لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها فيتمكن الصوت، فيظهر، فأما إذا وصلت هذه الحروف، ونحوها، فإنك لا تحس معها شيئا من الصوت، كما تجده معها إذا وقفت عليها»، (ابن جني، 2007، ص 50/1).

والصوت تشترك فيه جميع الحروف، وإنما المميز له هو الاعتماد على مخرج، فالصوت جنس والحرف نوع من هذا الجنس، والمخرج المحقق ينقطع فيه الصوت وينضغط كما هو في جميع الحروف سوى حروف المد، فهي هوائية جوفية، بل تمتد بلا تكلف إلى نهايته حتى يكون المتكلم هو القاطع له. والذي يفهم من كلام الأصواتيون انقطاع الصوت بإرادة الالفاظ في أي مرتبة من مراتب المد؛ لأنَّ هناك المد الطبيعي وهناك أنواع أخرى، والذي نعنيه هو المد الطبيعي السليقي الخالي من التكلف والتنطع والمبالغة.

ثانياً: النبر Stress:

يُعد النبر من المباحث الصوتية الحديثة؛ ويقصد به الضغط على مقطع معين، وهو هذا المعنى لم يكن من مباحث الدرس الصوتي القديم، على الرغم من شيوع مصطلح النبر بمعناه اللغوي في العربية؛ الذي يدل على الارتفاع والعلو والضغط، وقد حرص علماء العرب الأوائل على دراسة كل الجوانب الصوتية التي تتميز بها هذه اللغة، ويظهر إغفالهم أنه لا دور له في تحديد معاني الكلمات، ولا تتوقف دلالة الكلمة أو الجملة على وجوده، لكل لغة نظامها الخاص الذي تتميز به عن غيرها، بل هي نظام من الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

لا تخلو لغة منه لغات العالم من النبر بما في ذلك العربية؛ ولكن تأثيره في العربية الفصحى لا يكاد يذكر لاستغناء العربية بالإعراب والقرائن اللفظية والمعنوية عنه. وهو شديد الارتباط بالمقطع الصوتي، وهما في العربية لهما وظيفة نطقية وليست دلالية. وكل الذين ضربوا لنا أمثلة عن وجود النبر في العربية يلجؤون إلى الدارجة لتوضيح ذلك، أو بالمثال المشهور، (فقس).

المقطع هو نبضة صدرية واحدة، وذلك يعني أنَّ هناك ضغطاً ما وقع لكنَّ قوة الضغط تتفاوت تبعاً لاختلاف المقاطع.

1.1 النبر لغة: هو الرفع والهمز، والعلو.

قال الفيومي: «نبرت الحرف نبراً من باب ضرب همزته»، (كمال بشر، 2000، ص 119).

وقال ابن فارس: «النبر في الكلام: الهمز أو قريب منه، وكل من رفع شيئاً فقد نَبَرَهُ»، و«سُي المنبر؛ لأنَّه مرتفع ويرفع الصوت عليه» (ابن فارس، 1997، ص 971).

2.1 اصطلاحاً: هو الضغط على مقطع معين، أو هو «نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبياً من بقية المقاطع التي تجاوره»، (كمال بشر، 2000، ص 512).

إذاً هو التكلم بصوت مرتفع وهو يظهر في الكلام المسموع دون المكتوب لأنه يجلي المعنى ويظهره، وهو من الفونيمات غير التركيبية (الفوقطعية)؛ لذلك تستخدم علامات ورموز تعرف به، كعلامة التعجب والاستفهام. في الإنجليزية يتغير معنى بعض الكلمات فيها تبعاً لموقع النبر في الكلمة، وهناك بعض اللغات يطلق عليها ذوات النبر الثابت، فالنبر لا يتغير، مثل أن يقع على المقطع الأول في الكلمة أو المقطع الأخير، وهناك لغات تنعت بذوات النبر الحر أو المتحرك والتي يتغير فيها موقع النبر باختلاف تركيبها الصوتي والمقطعي، أو باختلاف وظيفة الكلمة في التركيب، واللغة العربية من الصنف الثاني، تتغير مواضع النبر فيها باختلاف التركيب المقطعي للكلمة، فهي من ذوات النبر المتحرك (الحر).

قال الدكتور سلمان العاني: «فالنبر في الأفعال الثلاثية الماضية مثل (ك/ت/ب) يقع على المقطع الأول، فإذا اتصل بالفعل ضمير الفاعل فصار (ك/تَب/تُ) انتقل النبر إلى المقطع الثاني، وإذا اتصل ضمير الغائب بالفعل (ك/تَب/تُ/ه) صار النبر على المقطع الثالث»، (سلمان العاني، التشكيل الصوتي، 2000، ص 134).

وهذا أكبر دليل على أنه ليس للنبر وظيفة دلالية في العربية: لأننا لو نبرنا المقطع الأول أو الثاني أو الثالث لما تغير المعنى، فكتب هي كتب.

فإذا استطاع الدكتور العاني تحديد موضع النبر في الأفعال الثلاثية، فإنَّ المواضع الأخرى فيها اختلاف كبير وتباين عظيم، فقد عقد الدكتور جواد كاظم عناد مقارنةً بين تحديدات مواضع النبر في الهمزة لثلاثة باحثين هم: ستانسلاس جويار، ود. إبراهيم أنيس، د. عبد الصبور شاهين. وشمل تحديد مواضع النبر لثمانية عشرة كلمة هي: (أنبهم، يهدأ، مستهزون، أئمة، السماء أن، السماء ألا، البغاء إن، أولياء، أولئك، من أجل، في الأرض، قالوا الآن، رثيا، مستهزون، أعجمي، رأيت، أبائي، دُعائي، أولاء). وخرج بجملة من الملحوظات:

1/- عند النظر إلى مواضع النبر الرئيس، كما وردت عند الثلاثة، نجد أنهم لم يتفقوا إلا في موضع واحد من مجموع الكلمات الثمانية عشرة التي وردت في الجدول، وهذا الموضع هو المقطع (ء -)، في قراءة التخفيف لمثال (دُعائي).

2. لو اعتدَّ بالنبر الثانوي، في هذه الكلمات، لوجد أن الكثير من مواضع النبر عند (جويار)، هي مواضع للنبر الرئيس عند د. إبراهيم أنيس ود. عبد الصبور شاهين، (جواد كاظم عناد، 2011، ص - ص 116-119).

ثم ذكر أنَّ هذا الخلاف يُعزى إلى الاختلاف في قواعد استخراج النبر، فجويار استخرجها من التفاعيل العربية، بعد أن نظر إلى هذه التفاعيل نظرة موسيقية، في حين استند إبراهيم أنيس في سن هذه القواعد إلى القراءات القرآنية كما ينطق بها القراء المصريون في زمانه، أما د. عبد الصبور شاهين، فقد استند إلى «أنَّ مقطع الهمزة النبرية هو موقع النبر في الفصحى حال سقوط الهمزة سواء أحلَّ محلها حركة منبورة أم ساكن نبري»، (عبد الصبور شاهين، 1989، ص 213).

وفي النبر يجب الاعتماد على أدلة نطقية حية لا على عينات من نصوص مكتوبة غير منطوقة. وقد توصل د. جواد كاظم عناد إلى أنَّ الاختلاف في تحديد مواضع النبر يعود إلى الاختلاف القائم عند واضعي قوانينه «يمكن الخلوص إلى أنَّ هذه الاختلافات في تحديد مواضع النبر، وهي اختلافات في قوانينه عند مقعديها، وعدم وجود تحديد قائم على أسس موضوعية للعلاقة بين النبر القرآني والنبر الشعري، والنبر اللغوي، فضلاً عن غياب ما يُعين على تحديد طبيعة ما كان عليه النبر اللغوي وحتى الشعري قبل قرون خلت»، (جواد كاظم عناد، 2011، ص 120).

بقيت اللغة العربية محافظة على أصواتها وطريقة أدائها منذ الجاهلية إلى يوم الناس هذا، ولكن طريقة نطق الصوت تعثره بعض التلونات الصوتية فتؤدي إلى اختلاف ملامحه، فمثلاً حين تسمع أحداً ينطق الفصحى ستدرك البلد الذي نشأ فيه سواء أكان جزائرياً أو عراقياً أو لبنانياً أو مصرياً أو تونسياً أو مغربي، بالإضافة إلى اختلاف مواضع نبر الكلمة العربية، لكنَّ المعنى يبقى نفسه لا يتغير رغم تغير الملح الصوتي (الألفون)، وأنَّ دلالة الكلمة لم تتغير. كل هذا يمنعنا من الاطمئنان أو الاعتقاد بأن النبر يشكل ثقلًا في العربية أو أنه يحمل صفة تمييزية في بناء مفردات اللغة العربية. ويحتمل أن يكون هذا هو السبب في إهمال

النحاة العرب لهذه الظاهرة. بالإضافة إلى هذا فالعربية تركز على الوزن ولا تلتفت إلى المقطع الصوتي سواء كان ذلك في علم الصرف أو علم العروض؛ الذي يهتم بالسكنات والحركات.

و خير ما يمثل أصوات العربية خير تمثيل القرآن الكريم بقراءات المتواترة والشاذة، فالقراءات القرآنية تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا زمن مبعث النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقد لاقت القراءات من العناية والحفظ ما فاقت به كل الكلام البشري من حديث وخطب وشعر. و النبر في العربية يخضع لسمات لهجية مختلفة نتيجة اختلاف القبائل العربية في البيئة الجغرافية وظروف المعيشة ودرجة الاختلاط بالأُمم الأخرى، كما تتأثر بالبدواة والتحضر. والنظام الصوتي كما هو معلوم هو أسرع الأنظمة اللغوية تغيرًا، تأثر في تغيره أو ثباته عوامل متعددة نفسية واجتماعية ولغوية، فقد لاحظ الدارسون بعد الحرب العالمية الأولى ميل أصوات الرخوة في اللغة الألمانية إلى الشدة نتيجة العوامل النفسية التي صاحبت تلك الفترة واعتزازهم بالجنس الجرمانى وما دخلهم من زهو وعُجب.

النبر في العربية معقد جدًا، وهو من أصعب المشكلات التي واجهت علم الأصوات؛ لأنَّ العربية إذا تغيرت مواقع النبر لا تتغير دلالات كلماتها، «وإذا لم تكن العربية لغة نبرية بهذا المعنى، فمن باب أولى أن لا تكون لغة نغمية، إذ إنَّ تنغيم الكلمة الواحدة بأنماط مختلفة من التنغيم، لا يؤدي إلى اختلاف الدلالة المعجمية للكلمة العربية، كما هو الحال في اللغة الصينية مثلاً، وهذا لا يعني أنه لا يوجد تنغيم في العربية، ولكن التنغيم فيها تنغيم سياقي، فالجملة الاستفهامية لها أنماط معينة من التنغيم، والجملة الإخبارية لها أنماط أخرى، وهذا التنغيم السياقي موجود في اللغات كافة، سواء أكانت لغات نغمية كالصينية، أم غير نغمية كالعربية»، (سمير شريف استيتية، 2008، ص 288).

وإذا تتبعنا النبر في العربية المعاصرة التي تنطق في البلاد العربية المختلفة قد نجد ثلاثة أشكال من النبر في الكلمة الواحدة. منها ما يقع على المقطع الأول، ومنها ما يكون على المقطع الثاني، ومنها ما يقع على المقطع الثالث.

اشتهر خلف العاشر من القراء بظاهرة النبر أو ما يشبه النبر؛ لأنَّ النبر يتغير في قراءته نتيجة بعض التغيرات الصوتية التي تطرأ على الكلمة أو الكلمتين المتجاورتين.

3. الوصل بالضم: إذا التقى ساكنان في العربية ثَقُلَ ذلك على المتكلم أن ينطق بهما - في الكلمة الواحدة أو في كلمتين- أو استحال النطق، وقد أدرك اللغويون أنَّ الكلام يقوم على صلة وثيقة بين الكلمات في الجمل الموصولة، ولذلك صرحوا بالتخلص من كل ما من شأنه أن يربك هذه الصلة أو يخل بها، «وهذا أمر أثبتته العلم الحديث، فالأصل في كل كلام أن تتصل أجزاؤه اتصالاً وثيقاً وأن تتداخل مقاطعه، فلا تتميز معالم الكلمات ولا تستقل بأجزائها، بل يتداخل بعضها في بعض ويصبح الكلام كحَلَّة واحدة» ، (إبراهيم أنيس، 1972، ص 250).

والمقصود بـ الوصل بالضم: أن يكون آخر الكلمة صامتاً، تتبعه كلمة مستهلة بهمزة وصل، هي في حقيقتها ضمة، وذلك مثل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ [النحل: 36]. قرأها خلف: أَنَّ اعْبُدُوا بضم النون بدلاً من كسرهما، (مصحف القراءات، 2008، ص 271).

وقد علّل النحاة استكراه التقاء الساكنين في اللغة العربية، «بأنّ الحرف الساكن كالموقوف عليه، وما بعده كالمبدوء به، ومحالّ الابتداء بساكن، فلذلك امتنع التقاؤهما في درج الكلام وجاز في الوقف؛ لأنّ الوقف يمكن الحرف ويستوفي صوته ويوفره على الحرف الموقوف عليه فيجري ذلك مجرى الحركة لقوة الصوت واستيعابه، كما جرى المدّ في حروف المدّ مجرى الحركة، وليس كذلك الوصل؛ لأنّ الآخذ في متحرك بعد الساكن يمنع من امتداد الصوت لصرفه إلى ذلك المتحرك». (ابن يعيش، 1987، (9/120-121).

(أن اعبدوا) المشهور هو كسر النون ولكنّ خلقاً ضمها وهي في الحقيقة مطلع فعل الأمر(اعبدوا).

الكتابة الصوتية:

أَنْ اَعْبُدُوا

أَ - نَ | عَ - | بَ - | دَ - |

الكتابة الصوتية لقراءة خلف (في الدرج)

أَنْ اَعْبُدُوا

أَ - | نَ - | عَ - | بَ - | دَ - |
مقطع منبور

تحولت النون الساكنة من المقطع الأول المغلق إلى المقطع الثاني المنبور وشكلت مع الضمة والعين مقطعاً، وتحول المقطع الأول المغلق إلى مقطع مفتوح. وقد ظهر المقطع الثاني بشكل ارتفاع في طبقة الصوت وجرساً عالياً. والطاقة التنفسية في المقطع المنبور أعلى من غيره من المقاطع المجاورة.

وقد قام د. سمير شريف استيتية بفحص النبر في قراءة خلف، الوصل بالضم، وقراءة الوصل بالكسر(المقاطع الصوتية نفسها في قراءة الوصل بالكسر) على جهاز راسم النغمة فتحصل على النتائج الآتية:

- 1/ - بلغ معدل الترددات عند كسر النون من (أن اعبدوا): 291,2 هرتز/ثا، وبلغ معدل الترددات عند ضم النون من (أن اعبدوا): 364,4 هرتز/ثا، وبذلك يكون الفرق بينهما 37,1 هرتز/ثا.
- 2/ - بلغت درجة التوتر في حال كسر النون من (أن اعبدوا) 18,86 %، وفي حال ضمها: 21,51 %، ليكون الفرق بينهما 2,656 %.
- 3/ - بلغت درجة الانحراف المعياري للشدة، في حال كسر النون من (أن اعبدوا) 81,6 هرتز، وفي حال ضمها 117,7 هرتز، ليكون الفرق بينهما 63,1 هرتز.
- 4/ - بلغت درجة التردد السطحي عند كسر النون 207,3 هرتز، وبلغت 383,9 هرتز عند ضمها.

وهذه كلها أدلة رقمية قاطعة الدلالة، في أن ضمّ النون في (أن اعبدوا وما كان من بابها تجعل المقطع الذي يبرز جديداً أعلى وأشدّ نبراً (سمير شريف استيتية، 2008، ص 290).

وتحريك الساكن الأول بالكسر هو القياس في العربية، وتحركه بالضم غير قياسي على سبيل الإتيان لأنَّ الأصوات التي بين النون والعين لا تحجز، فهزمة الوصل تكتب ولا تنطق. والتعويل على المنطوق لا على المكتوب، ثانياً، الساكن الثاني لا يحجز لأنه كالعدم ولذلك أثرت الضمة التي هي مع الباء في الساكن الأول فضُم لأجلها.

ويُرجع الدكتور إبراهيم أنيس ظاهرة الإتيان هنا إلى «الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة، وهو اقتصاد عضوي في النطق يلجأ إليه المتكلم دون شعور أو تعمد»، (إبراهيم أنيس، 1972، ص 253).

أي أن قانون المماثلة هو الذي يتحكم في هذه الظاهرة؛ إذ تؤثر الحركات التي هي قمم المقاطع الصوتية في السلسلة الكلامية فتشدها إلى مثلها وهي الضمة فتتغير مقاطع الكلمتين، لتجنب المقطع المرفوض في العربية (ـ ع).

ثانياً: النبر عند ضم الهاء في ضمير الغائبين

قرأ يعقوب (عليهم) ← (عليهم) بضم الهاء، وقرأ خلف (عليهم) بضم الهاء والميم، (مصحف القراءات، 2008، ص 01).

وضم الهاء هو الأصل لأن أصلها (هم) فنقول مثلاً: هم قرؤوا فأجريت (عليهم) على أصل حركتها وهذا مستثقل فإذا طلبوا الخفة قالوا: (عليهم) ب(الكسر). والضمة على الهاء بعد الياء ثقيلة لذلك عمّد الأكثرون من القبائل إلى كسرها؛ وحجتهم أنَّ الهاء إذا وقعت بعد الياء أو كسرة كُسرت نحو (به) (وإليه) و(عليه). الكتابة الصوتية:

(عليهم) ←	ع -	ل - ي	ه - م
(عليهم) ←	ع -	ل - ي	ه - م

عدد المقاطع الصوتية في القراءتين ثلاثة هي نفسها لا تتغير؛ لكن المقطع الأخير الذي فيه هاء الضمير بالضم منبوراً أكثر من المقاطع الأخرى بل هذا المقطع واضح نسبياً إذا قُورن بالمقطع المقابل له في قراءة من قرأ بالكسر.

وقد قام الدكتور سمير شريف استيتية بإجراء اختبار على (راسم النغمة) للكلمتين (عليهم، عليهم)، فتحصل على النتائج الآتية:

1/ - بلغ معدل الترددات في حال كسر الهاء من ضمير الغائبين 412,7 هرتز/ثا، وبلغ معدل الترددات في حال ضمها 420,1 هرتز/ثا، ليكون الفرق بينهما 7,4 هرتز/ثا.

2/ - بلغت درجة التوتر عند كسر الهاء 20,14 هرتز، وبلغت درجة التوتر عند ضمها 20,38 هرتز، ليكون الفرق بينهما 0,24 هرتز، وهو فرق وإن كان يسيراً، فهو فرق على أي حال.

3/ - بلغت درجة التوتر السطحي عند كسر الهاء 203,5 هرتز، وعند ضمها 385,4 هرتز، ليكون الفرق بينهما 181,9 هرتز، وهو فارق لا شك كبير، (سمير شريف استيتية، 2008، ص 290).

الذي ضم الهاء في ضمير الغائبين هو القارئ خلف العاشر وحمزة من السبعة وهما عراقيان، وقد قرأ الهاء بالضم على الأصل رغم الصعوبة التي تكتنف الحرف، والنبر الذي يتطلب جهداً أكبر إذ يبذل القارئ طاقة تنفسية أعلى من غيره، كما يمكن أن يكون مصحوباً بنشاط حركي أكبر في الحنجرة.

ونستطيع أن نفسر قراءة القارئ حمزة الزياد و خلف بن هشام (عليهم) بضم الهاء، بالإبقاء على الأصل بالتفسير اللهجي؛ ف (عليهم) مركبة من (على وهم)، وهاء هم مضمومة، فلما ركبت أثقوها على أصلها؛ لأن كثيراً من القبائل الحجازية سكنت العراق بعد فتح مكة. والقبائل البدوية تحتاج إلى إظهار بعض الأصوات؛ لأنّ الفضاء الذي تتكلم فيه فضاء مفتوح، أما القبائل الحضرية فالفضاء مغلق لذلك تميل إلى التسهيل. والإنسان بطبعه يميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي تخفيفاً، لكن البدوي الذي يعيش في البادية والفضاء مفتوح يخاف أن يؤدي هذا الضعف أو الخور الذي يصيب أصواته إلى الحيف على الأصوات المجاورة له، ويؤدي إلى اللبس، وعدم فهم الكلمات.

4. النبر في الإدغام:

الإدغام ظاهرة لغوية راقية تؤدي إلى بذل جهد أقل في عملية الكلام، لا سيما عند نطق حرفين والاقتصاد في الجهد العضلي المبذول عند نطق الحرفين المدغمين حرفاً واحداً، فيلجأ إليه ليكون عمل اللسان أسهل بدمج تلك الحركات والأصوات وتكون صوتاً واحداً بحركة واحدة يرفع فيها اللسان ارتفاعاً واحدة.

قام د. سمير شريف استيتية بقياس درجة النبر في إدغام الدال في الجيم في ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف: 63] بحسب

قراءة خلف، وبعدم الإدغام بحسب قراءة من قرأ بلا إدغام، فتحصل على النتائج الآتية:

- 1/ - بلغ معدل الترددات في حال عدم الإدغام 273,3 هرتز، وبلغ معدل هذه الترددات في حال الإدغام 445,9 هرتز، ليكون الفرق بينهما 172,6 هرتز وهو فرق كبير.
- 2/ - بلغت درجة التوتر في حال عدم الإدغام 14.14% وبلغت في حال الإدغام 17,92%، ليكون الفرق بينهما 3,782%.
- 3/ - بلغت درجة التردد السطحي 190,3 هرتز في حال عدم الإدغام، وبلغت عند الإدغام 407,3 هرتز، ليكون الفرق بينهما 217 هرتز وهو فرق كبير.

وهكذا يتبين لنا أنّ الإدغام في هذه القراءة، كما هو الحال في غيرها، يؤدي إلى اختلاف موقع النبر وكميته. (سمير شريف استيتية، 2008، ص 291).

وإدغام الدال في الجيم جائز؛ لاشتراكهما في الجهر والشدة، وهما من صفات القوة، بالإضافة إلى أنّ (الجيم) العربية الفصيحة المعطشة تتكون من (دال) ساكنة في بدايتها، فعند النطق بالجيم يرتفع اللسان إلى مكان الدال ثم ينتقل إلى مخرج الجيم. فعند إدغام الدال في الجيم حدث ما يلي:

الجيم + الدال = الإدغام

$$d + dj = ddj$$

لذلك كان الفرق بينهما كبيراً نتيجة إغلاق مطول + اعتماد قوي = جهد أعنف ← نبر قوي.

ولما كانت العامية لا تعتمد على الإدغام كاعتماد الفصحى عليه، لجأت إلى الحذف والإسقاط مثل كلمة (دجاجة)، في (عامية سطيف) ننطق الدال ساكنة ثم ننطق بالجيم الفصيحة التي تتكون من دال ساكنة ثم ننطق الجيم الثانية التي تتكون من دال ساكنة.

في الفصحى: $d + a + dj + a + dj + a$

في الدارجة: $d + dj + a + dj + a$

ف نجد صعوبة ومشقة كبيرة فنلجأ إلى حذف الدال الساكنة الأولى، فتصير: $dj + a + dj + a$

بينما في المناطق التي تنطق الجيم غير العربية الفصحى (الجيم المتفشية أو الجيم الشامية)، لا يجدون صعوبة في نطقها فينطقون دجاجة: $d + j + a + j + a$.

5. **التشديد والتخفيف:** قد مالت القبائل العربية البدوية إلى السرعة في الأداء وعدم الاعتناء بالنطق، ومالت إلى التشديد، وأصواتها الرخوة مالت إلى الشدة «وهو أمر طبيعي يلتئم مع ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء طبع؛ لأن هذه الأصوات سريعة النطق بها، حاسمة، ثم إن ما فيها من عنصر انفجاري ينسجم وسرعة الأداء عند الأعراب. وهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التي تطرق الأذان كأنما هي فرقعات متعددة، في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام، إذ فيها من التؤدة والليونة ما ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم»، (في اللهجات العربية، 2010، ص 88)، فالأصوات التي تسمع كأنها فرقعات متعددة هي نتيجة الطرق المتعددة التي لجأ إليها البدوي منها التشديد، والجهر والتفخيم والتثقل، وهو الذي يدخل سمنا على الحرف فيمتلئ الفم بصداه، وهم قد دفعوا إلى هذه الطرق؛ لأنهم يعيشون في بيئة مفتوحة مترامية الأطراف يفنى فيها الصوت ويتلاشى في عرصاتها ويذوب في جنباتها، فلا تكاد تتضح تلك الأصوات، السنين تقترب من الصاد، والأصوات المهموسة والمرققة تميل إلى التفخيم، أما القبائل المتحضرة فقد خالفت هذا التوجه، فمالت إلى خفة النطق وسهولة الأداء؛ لأن الفضاء مغلق وهم يختلطون بغيرهم فلانت طبائعهم لتنسجم مع بيئتهم وطبيعتهم.

وخصصنا هذا المبحث في المستوى الصوتي ولم نجعله في المستوى الصرفي لأن هذه الاختلافات هي اختلافات لهجية، وهي في غالب الأحيان بمعنى واحد وهو جائز في العربية على سواء، فالذي يستعمل مثلاً صيغة (فعل) في بعض الكلمات، لا يستعمل صيغة (فعل)، فالأولى مخففة والأخيرة مثقلة والتخفيف والتشديد لغتان مشهورتان. وما دامت القراءة القرآنية تمثل واقعاً لغوياً لا بد أن نقبله ونفسره ونسعى إلى تخريبه؛ لأن السند صحيح والقراءة متواترة.

وهناك من خالف ذلك وقال «وكل تغيير في الشكل؛ في حركة أو سكون تستدعي تلويحاً بالصوت وتغييراً في المعنى والأثر والهدف والتأثير»، (القيسي، 2007، ص 344/1). وهذا طبقاً لما قرره النحاة من أن كل زيادة في لساننا - قلت أو كثرت - تستدعي بالضرورة زيادة في المعنى.

والتشديد (الثقل) نسب إلى قبائل بدوية؛ نسب إلى بني تميم، وسفلى قيس وربيعه (أي القبائل التي مساكنها شرق الجزيرة العربية)، ونسب التخفيف لأهل الحجاز وقريش وهي قبائل متحضرة (مساكنها غرب الجزيرة العربية)، وقد نجد بعض الكلمات نسب فيها التخفيف إلى تميم، والتثقل إلى قريش وهي أفاظ قليلة.

6. ما قرأ بالتشديد:

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ [البقرة: 222].

قرأ خلف (يطهّرن) بتشديد الطاء والهاء، وهي قراءة الكوفيين؛ حمزة والكسائي وعاصم برواية أبي بكر، الأصل يتطهّرن، (مصحف القراءات، 2008، ص 35)

يطهّرن ← طهر، يقال طهّرت المرأة وطهّرت، وقد رجح أبو علي الفارسي (طهّرت)؛ والقول في ذلك: أنّ (طهّرت) بفتح العين أقيس، لأنها خلاف (طمّنت)، فينبغي أن يكون على بناء ما خالفه، مثل: عطشَ وزوي، ونحو ذلك، أيضاً قولهم: (طاهر)، فهذا يدل على أنه مثل: قعد يقعد فهو قاعدٌ. ومعنى هذه القراءة بالتخفيف أن ينقطع دمهنّ، كما تحتمل فعل الطهارة؛ أي حتى يفعّلن الطهارة التي هي الغسل، لأنها إذا لم تغتسل فهي في حكم الحيض لكونها ممنوعة من الصلاة والصيام والتلاوة.

وأما قراءة التشديد (يطهّرن) فهي من المضارع يتطهر.

خطوات التثقل:

يتطهّرن ← يتطهّرن ← يطهّرن

الخطوات التي سبقت التشديد والإدغام: كان أصل الكلمة يتطهّرن، ثم سَنَّ الحرف المتحرك (التاء)، وهو أول الصوتين المدغمين وأصبحت (يتطهّرن) حتى يحدث الإدغام، لكرهية توالي الأمثال.

ي - ت - ط - ه - ر - ن -

فقد توالى ثلاث فتحات، وهذا ثقل على من ألف السرعة في النطق، والاختصار في المجهود العضلي،

فالعرب قد بنت كلامها - كما يقول قطرب -: «على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين

ساكنين في حشو كلمة، ولا في حشوبيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة؛ لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون،

وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان» ، (الزجاجي، 1982، ص ص 80-81).

ثم أدغمت التاء الساكنة في الطاء، وهما صوتان متماثلان، فهما يشتركان في أنهما: صوت أسناني لثوي

شديد (انفجاري)، الأول مرقق والآخر مطبق، وهو تآثر مدبر كلي، فشددت الطاء، فأصبحت (يطهّرن)، وقد

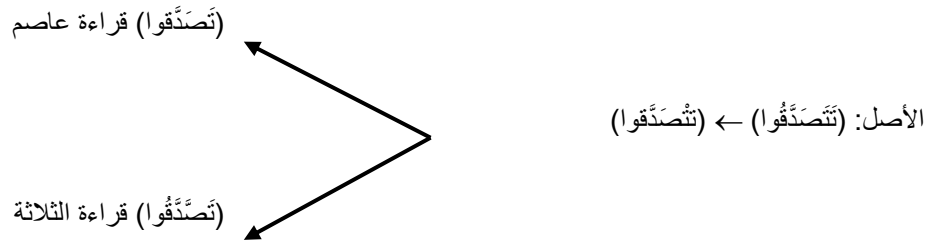
«تأثرت الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو

صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث من ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج والصفات.

وقراءة التخفيف توهم جواز إتيان الحائض ما لم تطهر، وهي ممنوعة من الصلاة ما لم تتطهر بالماء، فجاء التشديد (الثقل) لرفع هذا التوهم.

والتشديد يوهم جواز إتيان المرأة وهي حائض إذا تطهرت واغتسلت بالماء.

وخلاصة المسألة: أن قراءة التخفيف توفر فيها شرطان، الأول: انقطاع الدم، والثاني: التطهر بالماء (فإذا تطهرن).



وأما قراءة التشديد فليس فيها دليل على أن انقطاع الدم شرط للوطء.

ورجّح الطبري قراءة التشديد؛ وهي بمعنى يغتسلن لإجماع الجميع على تحريم قربان الرجل امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر، وإنما الخلاف في الطهر ما هو؟ أهو الغسل أم الوضوء أم غسل الفرج فقط؟، أما ابن عطية فقد ذهب إلى أن كل واحدة من القراءتين تحتل أن يُراد بها الاغتسال بالماء وأن يُراد بها انقطاع الدم وزوال أذاه، قال ابن عادل الحنبلي: «وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الطَّبْرِيُّ مِنْ أَنَّ قِرَاءَةَ التَّشْدِيدِ مُضَيِّقَةٌ لِغُسْلِ الْفَرْجِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَى أَنَّ قِرَاءَةَ التَّخْفِيفِ مُضَيِّقَةٌ لِقَطْعِ الدَّمِ غَيْرُ لَازِمٍ، وَكَذَلِكَ ادِّعَاؤُهُ لِإِجْمَاعِ، وَفِي رَدِّ ابْنِ عَطِيَّةٍ عَلَيْهِ نَظَرٌ؛ إِذْ لَوْ حَمَلْنَا الْقِرَاءَتَيْنِ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ لَزِمَ التَّكَرُّارُ» (الزجاجي، 1982، ص 80-81). ورجّح أبو علي الفارسي قراءة التخفيف إلا أنها من الثلاثي المضاد لطمّ الثلاثي بفتح العين وهي أقيس.

والقراءتان متواترتان سبعيتان (من القراءات السبع المتواترة)، لا يجوز المفاضلة بينهما، وكل واحدة مكمل للآخرى وشارحة لها، فهما كالآية الواحدة؛ لأنّ من إعجاز القرآن الكريم الإيجاز فتأتي الآية الواحدة بقراءتين وحكيمين.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾ [البقرة:

[280].

قرأ القراء الثلاثة (تَصَدَّقُوا) بتشديد الصاد والبدال.

قراءة التخفيف قراءة عاصم حُذفت التاء الثانية الساكنة اكتفاء بعلامة الاستقبال منها.

وأما قراءة التشديد فمرت بخطوات:

أولاً: تسكين التاء الثانية (وهذا وقع للقراءتين)

7. خاتمة:

- علم الأصوات النطقي قديم في الدراسات العربية قدم الدرس اللغوي نفسه، فهو يعتمد على الوصف والملاحظة.
- القراءات القرآنية تعج بالظواهر اللغوي التي كانت سائدة زمن نزول القرآن الكريم.
- تميل القبائل البدوية إلى الشدة والنبر والهمز والإدغام ليتلاءم مع طبيعة البدوي الذي يفضل السرعة في الكلام والتخفيف من فضول الحديث كما يتخفف من فضول متاع الحياة.
- التشديد في الكلام فاشٍ في قراءة قراء العراق، حيث نزحت إلى لما مصرّ عمر بن الخطاب البصرة والكوفة.
- النبر في العربية يحمل سمة نطقية لا سمة وظيفية، فالوظيفة المترتبة عنه في العربية، وظيفة شكلية لا تحمل شحنات دلالية فارقة.

8. المراجع:

- عاطف فضل محمد، الأصوات اللغوية، ط1، دار المسيرة، الأردن، عمان، 2012.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد علي النجار، دط، دار الكتب المصرية، دت.
- أصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ت: مصطفى بن العدوي، دط، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، المنصورة، مصر، 2009.
- كمال بشر، علم الأصوات، دط، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000.
- جواد كاظم عناد، القراءات القرآنية في كتب معاني القرآن، قراءة في التوجيه الصوتي، مؤسسة الانتشار العربي، 2011.
- عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.
- سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، منهج لسانی معاصر، دط، على الكتب الحديث، الأردن، عمان 2005.
- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط1، مكتبة الانجلو مصرية، مصر، 2010.
- الزجاجي، مجالس العلماء، ت: عبد السلام هارون، الكويت، 1962م.
- القيسي، مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة، ت: فرغلي سيد عرباوي، ط1، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، مصر، 2009.